

البنية اللغوية والتركيبية في المثل الشعبي الجزائري

The linguistic and structural structure of Algerian popular ideals

د/ فاتح عياد

Faith AYAD

جامعة 20 أوت 1955 - سكيكدة

مخبر الدراسات اللغوية والأدبية

fateh.turk@hotmail.fr

تاريخ الإرسال: 2023/05/05 تاريخ القبول: 2024/04/16

الملخص:

يهتم دارسو الأدب الشعبي بنقل التراث والغوص في أعماق الشعب وثقافتهم، من خلال البحث في عاداتهم وتقاليدهم، ومعتقداتهم، وفنونهم، وممارساتهم الحياتية، فالأدب الشعبي يتغلغل في داخل الشعوب، ويغوص في تجاربهم العميقة، ويعبر عن ذاكرتهم الجماعية. وتعدّ الأمثال الشعبية إحدى أشكال الأدب الشعبي، مثلها مثل الحكاية الشعبية، والسيرة الشعبية وغيرهما، وهي تحمل في مضامينها دلالات ذات طابع اجتماعي وثقافي، ومصدرها عامة الشعب، لذا فصلتها بالواقع الاجتماعي وثقافة الأمة صلة وثيقة، فهي موروث شعبي متناقل عبر الأجيال، ومتداول بين الأفراد من خلال الرواية الشفهية. والمثل الشعبي الجزائري مثله مثل بقية الأجناس الأدبية الأخرى، يتميز بجملة من الخصائص والمميزات، وله بنية لغوية وتركيبية يقوم عليها.

الكلمات المفتاحية: البنية؛ اللغة؛ التركيب؛ المثل الشعبي؛ الجزائر.

Abstract:

Folk literary scholars are interested in conveying the heritage and deep-seated culture of the people, by researching their customs, traditions, beliefs and art. Popular literature is permeating the masses, their deep experiences and their collective memories.

Popular proverbs are a form of popular literature, such as folk tales, and the popular biography, They have social and cultural meanings, and they come from the general public.

The Algerian popular example, like all other literary races, is distinguished by its characteristics and has a linguistic and complex structure on which it is based.

Key words : structure; language; installation; popular proverb ; Algeria.

مقدمة:

إنّ المثل الشعبي جنس أدبي قائم على بناء فني محكم، وله قالب شكلي يعكس المضمون الذي يؤديه، وإن كانت الضوابط النحوية ملغاة في المثل الشعبي باعتباره ينطق بلسان عامة الشعب، ولهجتهم العامية، إلا أنّ له نظاماً خاصاً يحتكم إليه، سواء من حيث الصيغة اللغوية أو التركيبية، بالإضافة إلى ما يحمله من طابع فني جمالي يستهوي المتلقي من حيث براعة الأداء وبلاغة التعبير، والأمثال الشعبية مستوحاة من روح الشعب ومقتضياته، وهي مظهر من مظاهر الثقافة الشعبية، تصوّر لنا البيئة الاجتماعية وما تنشده من تقويم لسلوك الأفراد الذين يعيشون فيها.

والمثل الشعبي الجزائري لا يختلف عن المثل الشعبي في باقي البلدان، من حيث الهدف والمضمون، إذ كل الأمثال الشعبية منبعها واحد هو عامة الشعب، وتؤدى وفق مورد ومضرب، وتحمل في طياتها قولاً صائباً، إلا أن المثل الشعبي في الجزائر من حيث خصائصه اللغوية والتركيبية يختلف عن باقي البلدان، ذلك أن لكل بلد لغة شعبية عامية خاصة بها، فتختلف التراكيب بنسب متفاوتة بحسب كل منطقة.

ومن هنا جاءت الإشكالية كالاتي: ما هي مميزات المثل الشعبي الجزائري من حيث بنيته اللغوية والتركيبية؟

أما فيما يخص أهمية الدراسة، فقد اعتُبرت الأمثال الشعبية جواهر الحكمة، فقد تم صياغتها من أجل نقل المعرفة العملية إلينا، إنها حقيقة عظيمة مع كثير من الخبرة والتفكير العميق، ولغة المثل الشعبي دور أساسي في جعله يحظى بالقبول المجتمعي، واعتماده مصدراً أساسياً في نقل تجاربه والتعبير عن انشغالاته اليومية.

ومن الدراسات السابقة في الموضوع نذكر ما يأتي:

- عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية: دراسة تاريخية تحليلية، دار الفكر، دمشق، 1988.
- محمد بن أبي شنب، أمثال الجزائر والمغرب العربي، دار فليتنس للنشر، الجزائر، 2013.
- محمد سعيدي، التشاكل الإيقاعي والدلالي في نص المثل الشعبي الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009.

وبالنسبة لأهداف البحث، فهي كالاتي:

- إبراز القيمة الفنية للمثل الشعبي الجزائري من خلال الكشف عن بنيته اللغوية والتركيبية.
- إثبات وجود ظواهر لغوية وإيقاعية في المثل الشعبي الجزائري.
- الكشف عن أنواع الأمثال الشعبية الجزائرية من حيث البنية والحجم والدلالة اللغوية.

أولاً/ تعريف البنية

1- البنية لغة: اكتسبت لفظة البنية في المعاجم العربية مدلولات كثيرة، نذكر منها ما جاء في لسان العرب لابن منظور، حيث يقول: "الْبِنْيَةُ والْبُنْيَةُ ما بُنِيَته، وهو الْبِنَى والْبُنْيُ، وأنشد الفارسي عن أبي الحسن: أولئك قومٌ إن بَنَوْا أحْسَنُوا الْبُنْيَ، وإن عَاهَدُوا أَوْفُوا، وإن عَقَدُوا شَدُّوا. يقال بِنْيَةٌ وهي مثل رِسْوَةٍ ورِشَاءٍ، كأنَّ الْبِنْيَةَ الهَيْئَةَ التي بُنِيَ عليها مثل الْمِشْيَةِ والْرَكْبَةِ، وبنى فلان بِنْيًا بناءً وبْنَى.. والبنيان الحائط"¹.

كما ورد في المعجم نفسه: "أَبْنَيْتُهُ بِنْيًا أي أعطيته ما يبني بِنْيًا"² وجاء فيه أيضاً "... البواني في الأصل أضلاع الصدر، وقيل الأكتاف والقوائم..."³.

وجاء في معجم الوسيط: "الْبِنْيَةُ: ما بُنِيَ. (ج) بُنَى، وهيئة البناء، ومنه بِنْيَةُ الكلمة أي صيغتها، وفلان صحيح البنية...البُنْيَةُ: بُنْيَةُ الطَّرِيق: طريق صغير يتشعب من الجادة"⁴.

وقد ذُكرت البنية من حيث اشتقاق الكلمة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَتْهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ (الصف: 4) أي يقاتلون في سبيل الله صفًا مصطفًا، كأنهم في اصطافهم هنالك حيطان مبنية قد رصن، فأحكمن وأتقن.

ومن هنا فإن كلمة بنية وما يتصل بها من مشتقات بنى بجميع مدلولاتها الحسية والمعنوية لا تكاد تخرج عن هياكل الشيء ومكونه أو هيأته.

2- البنية اصطلاحاً: ظهرت البنية كمصطلح عند الغرب، فهي تشتق "في اللغات الأوربية من الأصل اللاتيني *stuere* الذي يعني البناء أو الطريقة التي يقام بها مبنى ما، ثم امتد مفهوم الكلمة ليشمل وضع الأجزاء في مبنى ما من وجهة النظر الفنية المعمارية، وبما يؤدي إليه من جمال تشكيلي، وتنصّ المعاجم الأوربية على أنّ فن المعماري يستخدم هذه الكلمة منذ منتصف القرن السابع عشر"⁵. ولا يبعد هذا كثيراً عن أصل الكلمة في الاستخدام العربي القديم للدلالة على التشييد والبناء والتركييب، كما هو وارد في نص الكتاب المجيد.

والجدير بالذكر أن البنية كمصطلح هي "كلّ مكوّن من ظواهر متماسكة، يتوقّف كلّ منها على ما عداها، ولا يمكنه أن يكون ما هو إلا بفضل علاقته بما عداها"⁶. يتّضح لنا من خلال هذا التعريف أنّ البنية تتكوّن من عناصر مترابطة فيما بينها، وأي تغيير يطرأ على عنصر منها يؤثر في بقية العناصر.

ثانياً/ تعريف المثل

1- المثل لغة: لقد اهتم علماء اللغة بشرح كلمة "مثل"، فقدّموا عدّة تعاريف مختلفة في المعنى، جاء منها: الشبه، النظير، العبرة، الحجة، الصفة... إلخ.

ونذكر من بين هذه التعاريف ما ورد في لسان العرب لابن منظور: "والمثل الشيء الذي يضرب لشيء فيجعل مثله وفي الصحاح ما يضرب منه للأمثال، قال الجوهري: ومثل الشيء أيضاً صفته، قال ابن سيده: وقوله عز وجل من قائل: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ﴾ (الرعد: 35)، قال الليث مثلها هو الخبر عنها، وقال أبو إسحاق: "معناه صفة الجنة"⁷.

وورد في غريب القرآن قول الراغب الأصبهاني: "المثل عبارة عن المشابهة لغيره في معنى من المعاني أي معنى كان وهو أعم الألفاظ الموضوعات للمشابهة"⁸.

ويرى ابن فارس في معجم مقاييس اللغة أنّ المثل "يدلّ على مناظرة الشيء للشيء، وهذا مثل هذا أي نظيره. والمثل والمثال في معنى واحد، وربما قالوا مثيل كشبيه... والمثل: المثل أيضاً، كشبه وشبهه، والمثل المضروب مأخوذ من هذا، لأنّه يُذكر موّرى به عن مثله في المعنى"⁹.

وهذا ما ذهب إليه ابن منظور إذ عدّ المثل والمثل بمعنى واحد، ويراد بهما المساواة في المشابهة. يقول: "مثل كلمة تسوية، يقال هذا مثله، كما يقال شبيهه وشبهه، بمعنى"¹⁰ والمثل الشيء الذي يضرب لشيء مثلاً فيجعل مثله.

بالنظر إلى هذه التعريفات فإنّنا لا نكاد نجد اختلافاً في تحديد معنى المثل، فالمشابهة قد تكون بين الشئيين من بعض الوجوه، كما رأى الأصبهاني، وقد تكون المشابهة كاملة أو متساوية لنظيرها كما ذهب إلى ذلك ابن فارس وابن منظور.

2- المثل اصطلاحاً: يعرفه أحمد أمين بقوله: "إنّ كلمة مثل مأخوذة من قولك هذا مثل الشيء ومثله كما تقول: شبيهه وشبهه؛ لأنّ الأصل في التشبيه، ثم جعلت كل حكمة سائرة مثلاً"¹¹.

ويرى عبد المجيد قطامش أنّ المثل هو ذلك الفن من الكلام، الذي يميّز بخصائص ومقومات، تجعله جنساً من الأجناس الأدبية قائماً بذاته، مثله مثل للشعر والخطابة والقصة والمقالة والرسالة والمقامة... ويعرفه بقوله: "المثل قول موجز سائر، صائب في المعنى، تشبه به حالة حادثة بحالة ساقفة"¹².

أما المرزوقي فيعرّفه بقوله: "والمثل جملة من القول مقتضبة من أصلها أو مرسلة بذاتها، فتنتم بالقبول وتشتهر بالتداول، فتنقل عما وردت فيه إلى كل ما يصحّ قصده بها، من غير تغيير يلحقها في لفظها، وعما يوجبها الظاهر إلى أشباهه من المعاني، فذلك تضرب، وإن جهلت أسبابها التي خرجت عنها"¹³.

نلاحظ أنّ هذه التعاريف تركّز على خاصيّة الشّبه، في حين كان مصب اهتمام البعض الآخر على الجانب الجمالي للمثل، يقول ابن عبد ربّه في هذا الصّدّد: "الأمثال وشي الكلام وجوهر اللفظ وحلي المعاني، والتي تخيرتها العرب، وقدمتها العجم، ونطق بها كلّ زمان وعلى كلّ لسان، فهي أبقى من الشعر، وأشرف من الخطابة، ولم يسر شيء مسيرها ولا عمّ عمومها حتى قيل أسير من مثل. وقال الشاعر: مَا أَنْتَ إِلَّا مَثَلٌ سَائِرُ يَعْرِفُهُ الْجَاهِلُ وَالْخَائِرُ"¹⁴.

وعليه فهمما اختلفت التعاريف حول المثل وتعدّدت، فكّلها تتفق على أنّ هذا الجنس الأدبي يعبر عن مختلف المواقف والتّجارب الإنسانية على مرّ العصور.

3- المثل في القرآن الكريم: ذكر الله عزّ وجل عدداً من الأمثال في آياته الكريمة، وقد اختلفت معانيها بحسب الرّسالة السّماوية المراد إيصالها إلى الخلق، نذكر منها ما يأتي:

أ- بمعنى العبرة: قال تعالى: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (55) فَجَعَلْنَاهُمْ سُلَافًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾ (الزخرف: 55-56) كلمة مثل هنا بمعنى عبرة، فهو لاء القوم عوقبوا ليكونوا عبرة لغيرهم من باب الاتعاض. وقال عزّ وجل: ﴿وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ﴾ (الرعد: 6) المثالات أي العقوبات، والعبر المفيدة للردع والزجر.

ب- بمعنى الصّفة: يقال مثل فلان أي صفته، فالصفة قد تُلصق بصاحبها، قال تعالى: ﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا بِظُلْمٍ﴾ جعل الله القوم أنفسهم مثلاً، وكذلك في قوله عزّ وجل: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ﴾ (الأعراف: 177) أي صفتها.

ج- بمعنى الحال: قال تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا﴾ (البقرة: 17) أي جعل حالهم كحال من استوفد ناراً.

د- بمعنى الآية أو الحجّة: قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (الزخرف: 59) يعني آية لبني إسرائيل.

هـ- بمعنى الذّكر والصّرف: قال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا﴾ (الكهف: 32) أي اذكر لهم مثلاً، أو اصرف لهم مثلاً، كما قال عزّ من قائل: ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ (إبراهيم: 35) أي صرفناها لكم حتّى تعقلوها.

و- بمعنى الشّبه: قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ (البقرة: 214) أي يأتكم شبه ما أتى الذين خلوا من قبلكم.

يتّضح لنا من خلال هذه الآيات الكريمة، أنّ الله تعالى وظّف كلمة مثل في القرآن الكريم، وبدلالات مختلفة بحسب السياق الذي وردت فيه.

ثالثاً/ مفهوم المثل الشعبي

تحتوي هذه التركيبة اللغويّة على لفظين (المثل + الشعبي)؛ وهذا معناه أنّ المثل الشعبي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالشّعب، ويعبر عن واقعه الاجتماعي.

وهذا ما أقرّه الشيخ محمد رضا الشيباني في تقديمه لكتاب الأمثال البغدادية للشيخ جلال الحنفي إذ يقول: "الأمثال في كلّ قوم خلاصة تجاربهم ومحصول خبرتهم، وهي أقوال تدلّ على إصابة المحز،

وتطبيق المفصل، هذا من ناحية المعنى، وأمّا من ناحية المبنى فإنّ المثل الشروذ يتميز عن غيره من الكلام بالإيجاز ولطف الكناية وجمال البلاغة .. والأمثال ضرب من أحسن ضروب التعبير عمّا تزخر به النفس من علم وخبرة وحقائق واقعية بعيدة البعد كلّ عن الوهم والخيال، ومن هنا تتميز الأمثال عن الأقاويل الشعرية¹⁵.

ويقول أحمد أمين "أمّا الأمثال فكثير ما تنبع من أفراد الشعب نفسه، وتعبّر عن عقلية العامة، ولذلك تجد كثيرا منها غير مصقول، أعني أنّه لم يتخيّر لها ألفاظ الأدباء ولا العقلاء الرّاقين"¹⁶. تعدّ الأمثال الشعبية شكلا من أشكال الأدب الشعبي، فهي تعبّر عن واقع الشعب وأفكاره وتأمّلاته، كما تصوّر لنا في دلالاتها سلوكيات البشر تجاه أنفسهم وتجاه غيرهم، فتكون بذلك رقيبا على أي سلوك صادر منهم، تعالج مواقف الحياة الاجتماعية في عبارات مختصرة، معبرة عن التجربة المشابهة للموقف الذي يسايرها.

وهي تتجسّد في شكل جمل قصيرة أو طويلة ذات دلالات ومعان عميقة عمق تجربة الأسلاف، الذين ينقلون كل ما عاشوه إلى الخلف. فالمثل الشعبي مثله مثل أي جنس أدبي شعبي آخر يُنقل بالتواتر عبر الأجيال ليشكّل جزءا من الهوية الثقافية الشعبية للمجتمع. وبهذا نخلص إلى أنّ الأمثال الشعبية تعتبر قوالب لغوية جاهزة؛ يوظّفها كل من أراد معالجة موقف ما بما يساير ذلك المثل، و تداول هذه الأمثال الشعبية يساهم في الحفاظ على الكيان التراثي للمجتمع.

رابعاً/ الصيغة اللغوية للأمثال الشعبية:

يُقصد بالصيغة اللغوية للمثل الشعبي الطريقة أو الهيئة التي ورد فيها، من حيث القلب اللغوي، ويتضمّن هذا ما يأتي:

1- اللغة المستعملة في المثل: تدلّ اللغة على طابعها الشعبي، فهي لغة تخلو من التعقيد، ذات عبارات سهلة النطق ومفهومة المعنى، لأنّها نابعة من الحياة اليومية لدى الشعب، وصادرة عن تجاربهم اليومية، فاللغة المستعملة في المثل هي اللهجة العامية، لغة الحياة اليومية المعتمدة بين أفراد الشعب بمختلف فئاته، وتعدّد مستوياته، ومن المعروف أنّها لا تحتكم إلى قواعد ولا لضوابط لغوية، وهذا ما ساعد الأمثال على سهولة التداول والانتشار بين الناس، لأنّ العامية هي لغة البيت والشارع، والمجتمع، لا تتبع عن طبقة معينة ولا هيئة خاصّة.

وبما أنّ المثل الشعبي يصدر بالعامية لذا فهو لا يحتكم إلى قاعدة إعرابية، أمّا الصيغة اللغوية للمثل فتخضع إلى الخلق الفردي كما افترض الأستاذ فريدريك زايلر: "... وجوب افتراض الأصل الفردي في خلق المثل. ويتّسم هذا الفرد من وجهة نظره بطبيعته المشرقة، وبقدرته على إصابة الهدف بتعبير فريد؛ ثم يتغيّر المثل ويتحوّر حتى يتّخذ شكلا محدّدا، فينتقل بذلك من الملكية الخاصّة إلى الملكية العامّة، أمّا كيف وأين يحدث ذلك، فهذا هو الأمر الذي سيظلّ مجهولا. فإذا قلنا أنّ كل مثل لابدّ أنّه نُطق به في مكان ما وزمان ما، فإنّنا نستطيع أن نقول كذلك أنّ المثل الذي أصبح له شكل لغوي ثابت؛ لابدّ أنّه نُطق به كذلك في زمان ما ومكان ما"¹⁷ أي أن المثل تتغير لغته بحسب المنطقة على عكس الفصح، فكل منطقة تقوله بلغتها.

2- الخصائص الفنية واللغوية للمثل الشعبي: للمثل الشعبي جملة من الخصائص الفنية واللغوية، نذكر منها ما يأتي:

أ- الألفاظ: تحدّث عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز عن الألفاظ، فنصّ على أنّها لا تتفاضل "من حيث هي ألفاظ مجرّدة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وإنّما تثبت لها الفضيلة، وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها"¹⁸.

أي أنّ اللفظة لا تكتسب قيمتها الدلالية إلا إذا اقترنت مع غيرها من الكلمات، إشارة إلى ضرورة التركيب لفهم المعاني، وإن تحدّثنا عن الألفاظ من حيث قوتها في المثل الشعبي، فيجدر بنا القول أنّ كلماته قليلة لكنّها تحمل معنى أوسع، فهي قوالب مختصرة للمعاني، فالمثل القائل: "دير كيما جارك أو حوّل باب دارك" هو جملة قصيرة مبهمة المعنى، إذ لم يتحدد الفعل الذي نقلد فيه الجار، وبالتالي يمكن أن يحتمل أفعال كثيرة، كطريقة بناء المنزل، طريقة التصرف، أنواع الطبخ...، فالألفاظ هنا تركز على الجانب الفني أكثر من ارتكازها على الجانب اللغوي.

لذا يمكن القول "إنّ الخاصية الأولى للمثل هي استخدامه للألفاظ استخداماً فنياً يبتعد عن كل تحديد لغوي، وفي وسع هذه الألفاظ أن تربط الأفكار ربطاً قوياً متماسكاً"¹⁹.

ب- الوزن والإيقاع: يستمدّ المثل الشعبي من الإيقاع سهولة الذبوع والحفظ، ذلك أنّ الوقع الموسيقي من شأنه أن يجذب آذان السامعين، ويمكّنهم من الحفظ، ويعدّ الإيقاع من أبرز العناصر المكوّنة للمثل الشعبي الجزائري، وهو أمر لا يختلف فيه عن المثل العربي القديم، فهو ممتدّ منه، ومستمرّ على شاكلته من حيث الجانب الإيقاعي.

وإن كان "الوزن والإيقاع في الشعر من شأنه أن يعين على عرض الصّور اللغويّة المتماسكة، عرضاً يستمر مع الحركة النفسية، فإنّ الوزن والإيقاع في المثل من شأنه أن يصنع الشّكل اللغوي المقفل، فما إن تنتهي العبارتان المتحدتان على وجه التقريب في الوزن والإيقاع حتّى ينتهي المثل"²⁰، مثل: "قد النملة وعامل عملة"، "راجلها في لحباس وهي تشطح في لعراس" ففي هذه الأمثال نلاحظ تتابع الحروف وتجانس الكلمات، ويعتبر هذا جزءاً من قوام المثل الشعبي وبنائه التركيبي، على أنّها تخص فئة من الأمثال لا كلّها؛ فهناك أمثال لا تخضع في صياغتها التركيبية لعنصر الإيقاع، مثل: "لي بكر لحاجتو قضاها"، "زيادة الخير خيرين" ... إلخ

ويعدّ الإيقاع من العوامل الأساسية التي جعلت معظم الأمثال القديمة الموجزة متماسكة وتصدّ أمام الزّمن، لما لها من تناعم وانسجام بين أجزاء المثل، وما تخلقه من اعتدال وتناسب، إضافة إلى ما تضيفه على المثل من جماليّة من خلال توظيف التراكيب البلاغية والسّجع والجناس، فالإيقاع يرفع من مستوى المثل ليبلغ به مستوى يفوق مستوى الكلام العادي، والمتكلم عندما يعتمد على الأمثال في حديثه فإنّ السّامع يتقطّن إلى التعابير المثليّة، وذلك لتغير نبرة صوت المتكلّم، وهذا لما تتسم به من خصائص بلاغية وإيقاعيّة.

ج- المفارقة: ويُقصد بالمفارقة في المثل الشعبي الإتيان بالمعنى ونقيضه بالتّفي في نفس المثل باعتماد الطّباق، والصّور الضديّة، والهدف من هذه المفارقة التأكيد على موقف ما وإبرازه.

ومن الأمثال الشعبيّة الجزائريّة، التي تضمّنت عنصر المفارقة، نذكر ما يأتي:
- "مول التاج ويحتاج"، فالمفارقة تكمن في طلب الحاجة من طرف صاحب الثروة والجاه، ويضرب هذا المثل لتبيان أنّ كل إنسان مهما بلغت ثروته أو نفوذه سيأتي يوم يكون فيه بأمرّ الحاجة إلى عون الآخرين، وهو مثل يتفق في معناه مع المثل العربي القائل: "يوم لك ويوم عليك".

- "أحييني اليوم واقتلني غدوة" بدت المفارقة واضحة من خلال طباق الإيجاب في (أحييني-اقتلني)، ويُضرب هذا المثل عند إبداء الرّغبة في عيش الوقت الرّاهن دون التّفكير في المستقبل، أي الاستمتاع باللحظة.

- "اللي يحبك ما يبنيك قصر، واللي يكرهك ما يبنيك قبر" وردت المفارقة في هذا المثل بذكر المعنى و نقيضه بالنفي، ومعنى المثل أنّ من أحبّك أو كرهك فلن يفيدك حبّه أو كراهيته في شيء، وفي هذا دعوة المخاطب إلى الاعتزاز بالنفس وعدم المبالاة بنظرة الآخرين.

- "خيّاط وحوايجو مقطعين" تكمن المفارقة في هذا المثل الشعبي في كون الخيّاط الذي يخيّط ملابس الآخرين ويرقّعها، هو في حدّ ذاته يرتدي ثياباً ممزّقة، ويُضرب هذا المثل للإنسان البخيل.

- "كي كان عايش شاتي تمرة وكي مات علقلو عرجون" فالمفارقة هنا في كون الآخرين لم يبالوا أو يكثرثوا لشأن الحيّ إلا بعد مماته، ويضرب هذا المثل للتعبير عن التفريط في حقوق الناس.

- "متهوم بالشبعة ميت بالشر" يقال هذا المثل عن الفقير الذي يظنه الناس غنياً، فالمفارقة تبدو جليّة من المعنى النقيض

د- التّكرار: يفيد التكرار التأكيد، "وتكرار الكلمة أو الصّوت -خصوصاً في الثقافة الشفاهيّة حيث نشأت ظاهرة التّكرار- هذا التكرار يُحدث نوعاً من التّأثير القوي في المتلقّي، وهو تكرار يجعل الحرف والكلمة يستقرّان في أعماقه"²¹، مثل: "خوك خوك لا يغرك صاحبك" فتكرار كلمة (خوك) هنا تأكيد على إبراز قيمة الأخ ومكانته، ومغزى المثل التمسك بصلة الرّحم وتقديس رابطة الأخوة، لأنّ الأخ لن يكيد بك في حين الصّاحب قد يفعل ذلك.

كذلك نجد التكرار في المثل الشعبي القائل: "الضيّف ضيف لو كان يقعد شتا وصيف"، يضرب هذا المثل للتأكيد على أنّ الضيّف سيظلّ ضيفاً مهما طال مكوثه في بيت المضيف، فتكرار كلمة ضيف تفيد ترسيخ الفكرة وتثبيتها في الأذهان.

ونذكر أيضاً المثل الشعبي القائل: "صام صام، وفطر على بصلة"، فالتكرار وارد في الفعل (صام) ودلالته طول المدة الزّمنية، ويضرب هذا المثل عند سوء الاختيار أو التصرّف بحماقة بعد صبر كبير، وجهد جهيد.

يمكننا القول إنّ ظاهرة التكرار في المثل الشعبي الجزائري واردة بكثرة، ومردّها الحث والحرص على فعل الشيء أو اجتنابه.

هـ- الإيجاز: قال الجاحظ في تحديد مفهوم الإيجاز: "الإيجاز هو الجمع للمعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة"²²، وهذا ما ينطبق على الأمثال الشعبيّة، فهي لا تتجاوز - في الغالب- سطراً واحداً، لأنّها تهتم بالمعنى الكثير في قالب لفظي قليل، وهنا تبرز قوّة المثل، فكلمة كان قصيرا ومختصراً كلّما احتوى أكبر قدر من الدّلالات. ومن الأمثلة الشعبيّة الجزائرية الموجزة: "شدة وتزول"، "الدنيا دّوّارة"... إلخ، والمثل إن كانت عبارته طويلة فإنّه يضعف في قوّة معناه.

خامساً/ الصيغة التركييبية للأمثال الشعبيّة

يُقصد بالصيغة التركييبية ارتباط البنى اللفظيّة ببعضها البعض وفق نسق معيّن، بحيث تشكّل جملة، وهي تقوم في تراكبها على ميزان صرفي مُحكم، والمثل الشعبي عبارة عن تركيب لغوي، يختلف من حيث صياغته من مثل إلى آخر، ويمكن تحديد هذا الاختلاف فيما يأتي:

التفاوت في التركيب: تتفاوت الأمثال الشعبية في تراكيبها من حيث الحجم (الطول والقصر)، ومن حيث القالب أيضا (سردي مباشر، حوار).

1- من حيث الحجم: وردت بعض الأمثال موجزة، مكونة من لفظة أو لفظتين، مثل "خالف تُعرف" أي كل ما كنت مختلفاً عن البقية كل ما صرت محل انتباه من طرف الجميع، ويُضرب هذا المثل عندما نلاحظ شخصاً شذ عن الآخرين لغرض الشهرة مثلاً. يعدّ قصر عبارة المثل والإيجاز فيها من أسباب بقائها -الأمثال- متداولة ومنتشرة بين عامة الشعب، ذلك أنها سهلة الحفظ من جهة، وباعتبارها نتاج طبقة شعبية لها نمطها المعيشي وطريقة تفكيرها من جهة أخرى.

وبالرغم من هذا القصر إلا أنّ الأمثال تعبّر عن تجارب حياتية و خبرات ومواقف كثيرة، يقول جيمس هويل (James Howell) في هذا الصدد: "المثل خبرة طويلة في عبارة قصيرة"²³، وبنفس المعنى يقول سرفانتس (Cervantes): "الأمثال عبارات قصيرة مجسّدة لخبرة طويلة"²⁴.

في حين وردت أمثال مطوّلة تتكوّن من جملتين فما أكثر، كالمثل القائل: "الي فاتو الكلام يقول سمعت، والي فاتو الطعام يقول شبع" أي من لم يسمع الحديث للحاقه متأخراً لا يجدر به السؤال، بل عليه أن يلتزم الصمت، ومن تأخّر عن الحضور للطعام، لا يجدر به طلب الأكل، ويُضرب هذا المثل للتنبيه على تحمّل نتيجة التأخّر الصّادر عن صاحبه.

وكما نلاحظ فهذا المثل مكوّن من جملتين طويلتين تحملان معنيين مختلفين، إلّا أن كليهما يخدمان نفس الغرض أو الهدف المقصود من ضرب المثل.

وفي الغالب تكون الأمثال الطويلة ذات إيقاع ناجم عن السّجع، فتصنع الشكل اللغوي المقل، فبمجرد انتهاء الوزن ينتهي المثل، مثل: "جيت نعلمو في الصلات فاتني بالركعات"، فالسّجع يكمن في (الصلات-الركعات)، أمّا عن معنى المثل: جنّت لأعلمه الصّلاة فسبقني بالركعات، يضرب لمن تجاوز القدر المطلوب في شيء ما.

2- من حيث القالب:

أ- السرد: قد يرد المثل الشعبي على شكل قصّة، من باب سؤال وجواب، كالمثل القائل: "سقساو الذّاب وشكون باباك؟ قالهم خالي الحصان" أي سألو الحمار: من والدك؟ فأجابهم: خالي الحصان. فالمثل هنا مكون من جملتين، متلازمتين، سؤال وجواب، وفيها نمط سردي يحيله إلى قصّة قصيرة، ذات معان عميقة، ويُضرب هذا المثل عندما يتجاهل الإنسان سؤال ما ويعمد إلى التهرّب منه بإجابة في غير محلّها، وقد يكون المبتغى من المثل: تجاهل الأصل والتشبّث بالفرع لما لذلك الأصل من صفات مشينة، فهذا المثل من الأمثال التي تقبل التّأويل، فيفسرها كلّ شخص بحسب فهمه الخاص، وهو نوع وارد بكثرة، فمثلاً: "قد النملة وعامل عملة" هناك من يؤولها إلى قدرة الشخص البسيط على إنجاز أعمال كثيرة، وهو أمر إيجابي، في حين هناك من يؤول هذا المثل إلى قيام شخص بسيط (من ناحية ما قد تكون قصر القامة، أو بساطة التفكير...) بفعل شريرة، وهو أمر سلبي.

ب- الحوار: يسود طابع الحوار في بعض الأمثال الشعبية، ومن الصيغ الدّالة عليه: الضمائر المتصلة والمنفصلة، والألفاظ (قال، قلت، ...)، وعلى سبيل المثال نذكر الأمثال الآتية: "أنا نفلو عتروس وهو يقلي أحلب"، يُضرب هذا المثل عند سوء الفهم بعد التّوضيح. "اللي قالي خالي قال بابا"، يضرب هذا المثل للتعبير عن مكانة الخال فهو بمثابة الأب.

"قالولو وشكون خير؟ أمك ولا مرت باباك؟، قالهم: مرت بابا واللي في القلب في القلب"، يُضرب هذا المثل عند مسايرة ظرف معين وإن كان صعباً من باب تجنب المشاكل أو العقبات.

"أنا نفلك سيدي وأنت اعرف قيمتي"، يُضرب هذا المثل للشخص الذي يتناول على من تواضع له أو قام بخدمته في أمر ما.

"قول لي أشكون صاحبك نقولك أشكون أنت" يتوافق هذا المثل الشعبي مع المثل العربي القائل: "المرء على دين خليله"، والمعزى منه أن الصديق مرآة صديقه، لذا فليحرص كل شخص على حسن انتقاء الأصدقاء.

إنّ الأمثال الشعبية وإن اختلفت من حيث الصيغة أو قالب (طول-قصر، سرد-حوار) فلها القدرة على التعبير عن تجارب الحياة لما فيها من بلاغة وإبداع.

سادساً/ الجملة في الأمثال الشعبية

إنّ "الجملة هي مظهر الكلام، وهي الصورة النفسية للتأليف الطبيعي، إذ يحيل بها الإنسان هذه المادة المخلوقة في الطبيعة، إلى معان تصوّرها في نفسه، ترى النفس هذه المادة المصوّرة وتحسّها، على حين قد لا يراها المتكلّم الذي أهدفها لكلامه غرضاً لكنّه بالكلام كأنّه يراها"²⁵.

1- الجملة في المثل من حيث مكوناتها وأقسامها: الجملة هي المكوّن الأساسي للمثل، وكل لغة تستلزم نظاماً متناسقاً من الكلمات المرتبة في جمل، يُرجى منها تحقيق الفهم والإفهام، أو التأثير في السّامع أو الإخبار أو النهي ولهذا يدرس علم التّركيب، ونعني بعلم التّركيب (المستوى التركيبي)، نظام الجملة من حيث هي كلام مفيد، وإذا كانت اللفظة تتكوّن من مجموعة أصوات، فإنّ الجملة تتكوّن من مجموعة ألفاظ، تركّب وفق نظام معيّن، بحسب الدّلالة المقصودة من الكلام، ولهذا فعلم التّركيب يدرس الوظيفة التي تؤديها الكلمة داخل نظام الجملة، كما يدرس العلاقات بين مختلف الكلمات المكوّنة للجملة.

لا تختلف الأمثال الشعبية عبر مناطق القطر الجزائري من حيث تركيب جملها، فهي متشابهة في تشكيل الجملة وترتيب عناصرها (اسم، فعل، أداة، توابع..). بغض النّظر عن الاختلاف الحاصل في نطق الكلمات، والجرس الصوتي، والاختلاف الحاصل في بعض المفردات، بالإضافة إلى ما يقع من إبدال للحروف بحسب اللهجات، والتّخفيف في الحروف خاصّة الهمزة، نجد الإمالة؛ أي تحويل الحركة وإبدالها من حركة إلى أخرى، كتحويل الفتحة إلى كسرة، وجاء هذا في مثل قولهم "الخير بالخير والبادي أكرم، والشر بالشر والبادي أظلم" فكانت الإمالة بتحويل الفتحة في (الخير) بدل (الخير) والغرض من ذلك؛ لكي تتسجم الأصوات عند النطق بالمثل، فلا يهم قائل المثل أن يتلفّظ بالمثل ويراعي فيه سلامة الشّكل أو الحركة الإعرابية السّليمة، وإنّما يهتم معنى المثل، الذي يريد إبلاغه للمتلقّي، وإيصال المعنى بأبسط طريقة ممكنة.

إنّ تراكيب المثل الواحد متباعدة من حيث المعنى، لا تسلسل فيها، فقط هي مبنية على تجارب مختلفة، مثلاً "البس من قدك، وصاحب من ضدك، وتبع عادات بوك وجدك"، فالتراكيب هنا في نفس المتن لكنها تحمل معان مختلفة ومتنوعة.

2- الجملة في المثل من حيث الأساليب: بما أنّ الأمثال تعبّر عن مواقف حياتيّة مختلفة، فقد تعدّدت أساليبها بتعدّد الأغراض الموحية إليها، للتعبير عن الواقع وتصويره بألفاظ منتقاة خصيصاً لإيصال المعنى المناسب، تماشياً مع الموقف، بحيث تأخذ كل كلمة موقعها المناسب، والذي لا يصلح لغيرها من الكلمات، مع ربط الأفكار، ممّا يسهم في قوّة الأسلوب ومثاقته.

وفي ما يأتي نذكر بعض الأمثلة عن الأساليب التي جاءت وفقها جمل الأمثال الشعبية الجزائرية:

أ- **الأسلوب الخبري:** إن احتمل الكلام "الصدق والكذب لذاته، بحيث يصح أن يقال لقائله إنه صادق أو كاذب، سمى كلاماً خبرياً، والمراد بالصدق ما طابقت نسبة الكلام فيه الواقع، وبالكاذب ما لم تطابق نسبة الكلام فيه الواقع"²⁶، ومن الأمثال الشعبية التي صيغت بالأسلوب الخبري، نذكر ما يأتي:

"وجه الخروف معروف"؛ يضرب هذا المثل عند تطابق صفات الشخص مع ملامحه، كأن يتصف بالطيبة، وملامح وجهه البريئة تدل على ذلك.

"الجود من الموجود" بمعنى أن لا يتكلف الإنسان في كرمه فيحمل نفسه ما لا يطيق، بل عليه إكرام الضيف بما توفر عنده من مأكّل أو مشرب.

وقد قيل أيضاً: "ضيف عام يستاهل ذبيحة، وضيف كل يوم يستاهل طريحة"، ففي هذا المثل مدح لمن كانت زيارته قليلة فيكرم بذبح شاة، وفي المقابل تقرع لمن أفرط في زيارته، فيستحق الضرب والإهانة، لأنه لم يحترم آداب الزيارة، فبارك الله في امرئ عرف قدر نفسه.

"الدم عمرو ما يولي ما" أي أن الدم لن يتحوّل إلى ماء، دلالة على أن الرّابط الأسري أو العائلي سيظلّ محكماً على الدوام، ومهما وقعت مشاكل أو اضطرابات داخل العائلة فلن تخلّ بأواصر العلاقة بين ذوي الأرحام، لأنها علاقة متينة وقوية.

"أنا نحفرلو في قبر أمه وهو هاربلي بالفاس" نلمح في هذا المثل صورة التعاون في قوله (أنا أحفر له في قبر أمه)، بمعنى أقدم له يد العون، أما عبارة هو هارب بالفأس أي أنه غير مقدّر لعوني إياه.

"الجار قبل الدار" وهو مثل عربي، ومعتمد لدى الشعب الجزائري بكثرة، وهو يولي العناية والاهتمام باختيار الجار قبل اختيار الدار، لما للجيرة من أثر في حياة المرء.

"ربي يخلف على الغابة، وما يخلص على الحطّابة" يضرب هذا المثل في الأشخاص الانتهازيين والمستغلين لغيرهم من ذوي القلوب الطيبة، وغرضه الدّعاء، فهو يدعو باسترداد الحقوق لأهلها وتعويضهم، في حين لا استجابة لأصحاب الحيل والخديعة.

"اللسان الحلو يرضع اللّبة" يؤكد هذا المثل على أهميّة الكلمة الطيبة، وأثرها البالغ في قضاء حوائجنا.

أسلوب الشرط: إن جملة المثل الشعبي من حيث الأسلوب ذات تركيب منطقي، يبتدئ بمقدّمة ثم يربطها بالنتيجة، فهي جمل متلازمة، نجدها تكون في جملة المثل الشرطية، كقولنا "لي ميعرفش السليخة والذبيحة مخذتو لبنت الناس فضيحة" أي من لا يحسن السلخ والذبح فزواجه يعتبر في عين المرأة فضيحة، لأنّ عملية الذبح والسلخ للأنعام من مواصفات الرّجولة في نظرها، وطبعاً معنى المثل أعمق من هذا؛ فالرجل لا يكون أهلاً للزّواج وبناء الأسرة إلا إذا كان قادراً على تحمّل المسؤولية وأعباء الحياة.

وعلى سبيل المثال نذكر أيضاً المثل القائل: "لي زرع السّدره يحصد شوكةا" وهو يحمل نفس دلالة المثل العربي القائل: "إنك لا تجني من الشوك العنب"، ومفاده أن المرء يتحمّل نتيجة أفعاله، وكما نلاحظ فالنتيجة (جني الشوك) ارتبطت بجنس الفعل (زرع السدر).

والجملة الشرطية باللهجة الجزائرية تتكوّن من نفس عناصر الجملة الشرطية باللغة الفصيحة، فالأداة (اللي) بمعنى (الذي)، وجملة الشرط (زرع السدره)، وجملة جواب الشرط (يحصد شوكةا)، وهذه الصيغ لا تخاطب شخصاً بعينه بل هي موجّهة إلى الجميع من باب أخذ العبرة.

ومن الأمثال ذات السلوب الشرطي أيضًا نذكر المثل القائل: "اللي فاتك بليلة فاتك بحيلة"؛ يضرب هذا المثل لتبيان أنّ من سبقك بالسّن سبقك بالخبرة والتّجارب، ومع هذا فلا يجب أن نحكم على هذا المثل بالإطلاق.

كما يقول المثل: "لي ماتت أمّو يحط حجرة في فمّو" أي بفقدان الأم ورحيلها عن الحياة الدّنيا لا يتبقّى للابن السّنّد، فلا يمكنه أن يشتكي همومه لغيرها، ولا أن يعبّر عن أوجاعه، فالأم هي الإنسان الذي يتحمّل آهات الابن ويشعر بآلامه، وعاطفة الأمومة من لدن الله تعالى، ويضرب هذا المثل لتبيان الوجبة التي تخلفها الأم بعد رحيلها وغيبها.

"لي زرع السدرة يحصد شوكها" أي من زرع نبات السدر، سيحصد شوكها، وهو مثل شبيهه بالمثل العربي القائل "إنّك لا تجني من الشّوك العنب"، ويضرب لتبيان أنّ الجزاء من جنس العمل. "لي ما يلحّش عقود العنب يقول حامض" يضرب هذا المثل للشخص الذي ينتقد ويعيب شيئاً لأنّه لم يبلغه أو يحصل عليه.

أسلوب النفي: وهو عكس الإثبات، ويندرج ضمن الأسلوب الخبري، ومن أمثله: "ما يقعد في الواد غير حجارو"؛ بمعنى لا شيء في الدنيا يكتسب صفة الخلود، وعبرة (غير حجارو) أي أنّ الأصول هي الثّابتة على مرّ الزّمن، كثبات الحجارة وبقائها رغم جفاف الوادي. "اللي ما ذاق المر ما يعرف قيمة الحلو" ورد النفي في عبارة (ما ذاق) و عبارة (ما يعرف) "العين ما تعلاش على الحاجب" بمعنى أنّ الناس مقامات، ولكلّ مقامه فلا يتعدّاه إلى مقام غيره، والنفي وارد في عبارة (ما تعلاش) أي لا تعلو.

"ما نبيعوش اللي يشرينا، وما نكرهوش اللي يبيعينا، وما نغدروش اللي يثيق فينا، الحمد لله هكا تربينا" ومفاد هذا القول الافتخار والاعتزاز بالمبادئ والقيم التي نشأ عليها قائل المثل، فهو ينفي عن نفسه كل دناءة معتمدًا أسلوب النفي؛ فلا يخون العشرة، ولا يبادل من أحبّه بالكره، ولا يغدر بمن وثق فيه، وفي آخر عبارة يبرز مصدر هذه الخصال الحميدة، ألا وهي التّربية الصّالحة.

ب- الأسلوب الإنشائي: وهو الكلام الذي لا يحتمل الصدق أو الكذب، وصيغته كثيرة، نذكر منها: **أسلوب الأمر:** يندرج ضمن الأساليب الإنشائية الطّليّة، و"هو طلب الفعل من الأعلى إلى الأدنى، حقيقة أو ادّعاء، أي سواء أكان الطّالب اعلى في واقع الأمر، أم مدّعياً لذلك"²⁷، ومن الأمثال الشّعبيّة التي جاءت بصيغة الأمر:

"عرضني وكول سهمي"؛ أي اعزمني وكلّ حصّتي، يضرب هذا المثل عند رغبة شخص ما في المبادرة الطّيّة من الطّرف الآخر، وإن كان في غنى عن ما سينتج عنها، إذ تكفيه الابتسامة أو روح المبادرة فقط.

"دير كيما جارك ولا حوّل باب دارك" أي عليه أن يتعايش مع جاره و يتصرّف بما يليق به من معاملة حسنة، وأن لا يسيء التّصرّف في حقّه من جميع النّواحي.

"خالف تعرف" في هذا المثل أمر بمخالفة الغير حتّى تبلغ الشّهرة والصّيّة. "تبع الكذاب حتّى لباب الدار" وهو مثل يتوافق والمثل العربي القائل "حبل الكذب قصير جدّا" "اسأل عن الرفيق قبل الطريق" إن الغرض من أسلوب الأمر الوارد في هذا المثل النّصح والإرشاد، فهو يحثّ على حسن اختيار الرّفيق عند السّفَر، قبل اختيار الوجهة، ذلك أنّ للرّفيق أثر كبير في إيجابيّة أو سلبيّة الرّحلة.

"اسأل مجرب ولا تسأل طبيب" مفاد هذا المثل الأخذ بنصيحة ذوي التجربة والخبرة، لأنهم أقدر على فهم الأمور بحكم تجربتهم السابقة.

"أقلب الجرة على فمها تطلع البنت لامها" الأمر هنا مجازي، والمقصود من المثل أنّ كل فتاة هي شبيهة أمها من حيث التربية والأخلاق.

"ازرع ينبت" أي هات المفيد من الكلام دون إطالة وإسفاف
 "تعلم واترك" ورد الأمر في هذا المثل مرتين؛ في قوله (تعلم)، وفي قوله (اترك)، والمعزى منه الحث على ضرورة تعلم الصنعة لأنها قد تفيد صاحبها ذات يوم.

أسلوب النّهي: و"هو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء"²⁸، ومن أمثله:

"لا يعجبك نوار الدفلى في الواد داير الظلايل، ولا يعجبك زين الطفلة حتى تشوف الفعايل"؛ يضرب هذا المثل للنهي عن تصديق المظاهر الخداعة، فليس كل ما نراه جميلاً بأعيننا هو كذلك في الحقيقة، مثله مثل أزهار الحلفاء التي تبدو جميلة المنظر، إلا أنها تفتقد العبق والرائحة الطيبة، مثلها مثل الفتاة التي تبدو جميلة في الأعين لكنها تضمر بداخلها صفات مشينة.

"ما تقطع واد حتى تبان حجاره، وما تمشي في الليل حتى يطلع نهاره، وما تصاحب الصديق حتى تسمع أخباره" ورد النفي ثلاث مرّات في هذا المثل الشعبي الطويل؛ (ما تقطع)، (ما تمشي)، (ما تصاحب)، والغرض من هذا النفي تقديم النصّ والإرشاد، ففي العبارة الأولى النّهي عن عبور نهر إلا وحجارته ظاهرة تجنباً للغرق، وفيه إشارة إلى اختيار الطريق السليم، وفي العبارة الثانية النّهي عن المشي ليلاً بل في وضوح النهار، وفيه إشارة إلى تجنب كل ما هو غامض، أمّا في العبارة الأخيرة ففيها نهى عن مصاحبة الشخص إلا بعد معرفة طباعه جيّداً، وفيه إشارة إلى الحرص في انتقاء الصديق المناسب.

أسلوب الاستفهام: وهو أسلوب إنشائي طلبى، يتضمّن سؤالاً حقيقياً أو مجازياً، بحسب الغرض المراد منه، ومن الأمثال الشعبية التي جاءت بصيغة الاستفهام نذكر:

"وين كنتوا يا جديان كي كنّا جرّارة؟"؛ يضرب هذا المثل من باب السخرية والاستهزاء ممّن كانوا ضعافاً في السابق والآن تمرّدوا على من كانوا أقوى منهم.

"واش من مرقّة حرقت شواربك" أي ما الحساء أو المرق الذي تسبّب في حرق شفتيك، ويضرب هذا المثل للشخص الذي يتدخّل في شؤون غيره.

أسلوب التعجّب: لا يأخذ التعجّب في المثل الشعبي الجزائري صيغته المعروفة في الأدب الرّسمي، فهو يُفهم من سياق الكلام فحسب، ومن أمثله: "عشنا وشفنا"؛ ففي هذا المثل تعجّب واستغراب من انقلاب الحال إلى حال.

أسلوب النداء: وردت الأمثال الشعبية الجزائرية بأسلوب النداء، وهو نداء في أغلبه مجازي، ومن ضمن أمثله:

"يا مكثّر الصحاب، متلف خيارهم"؛ هذا المثل يتطابق في معناه مع المثل العربي القائل: "عصفور في اليد خير من عشرة في السماء"، ومفاده أنّ الإكثار من الأصدقاء قد يلهيك ويغفلك عن أصدقهم وأقربهم إليك، فتخسرهم نتيجة لا مبالاةك واهتمامك بالعدد لا النوع، فكما نلاحظ أداة النداء (الياء) لم توظف للنداء الحقيقي.

"يا قاتل الرّوح وين تروح"، في هذا المثل نداء لقاتل النّفس، وغرضه توعدّ القاتل بنيل عقابه ولو بعد حين.

اعتمدنا ذكر هذه الأمثلة من باب الاستدلال فقط، لأنّ غيرها كثير، ولا يمكننا الإحاطة بها جميعاً.
خاتمة:

مما سبق ذكره يتّضح لنا ما للأمثال الشعبيّة من قيمة اجتماعيّة كبيرة، فهي تعكس ثقافة الشّعوب، وتعبّر عن سلوكهم، وأخلاقهم، وعاداتهم وتقاليدهم، معتمدة في ذلك بقلة ألفاظها وكثرة معانيها، وإنّ حاجة الناس إليها بات أمراً ملحاً، لكونها لصيقة بحياتهم، وخير معبّر عن مواقفهم، فيتخذونها وسيلة إصلاح وإرشاد لما تحمله في طبيّاتها من حكمة وصواب.

وعلى الرّغم من بساطة لغتها العاميّة إلّا أنّها ذات بنية لغويّة تزخر بالصّور الفنيّة البديعة؛ متجلّية في ما لها من إيجاز اللفظ، وبلاغة التّشبيه، والاستعارة، والكناية، وما لها من جرس موسيقي عذب مستمد من عباراتها المسجوعة، الأمر الذي سهّل عملية حفظها وتداولها عبر الأجيال، وكذا توفّر ظاهرة التّكرار ممّا يزيد المعاني قوّة وثبوّتاً.

وبعيداً عن قواعد النّحو والصّرف فللأمثال الشعبيّة الجزائريّة بنية تركيبية تقوم على علاقة الكلمة وترابطها المتين مع غيرها من الكلمات، وصياغة جمل تختلف من حيث الطّول والقصر، وكذا من حيث القالب الذي وضعت فيه، على اختلاف الأساليب وتنوّع أغراضها.

وفيما يأتي جملة من النتائج المتوصّلة إليها:

- الأمثال الشعبيّة تتقارب من حيث التخفيف في بعض الحروف والإمالة مع اللغة الفصيحة.
- تعتمد الأمثال الشعبيّة الجزائريّة على الإيقاع الصّوتي، الأمر الذي يسهّل عمليّة حفظها، وتداولها على الألسن.
- تأخذ الأمثال الشعبيّة الجزائريّة قوالب لغويّة مختلفة؛ من حيث التّراكيب، والأساليب الخبريّة والإنشائيّة.
- رغم أنّ المثل الشعبي الجزائري نابع من عامة الشّعب، ويُلَفّظ بالعاميّة، إلّا أنّه قريب في معانيه إلى الأمثال العربيّة في الأدب الرّسمي.
- يقوم المثل الشعبي الجزائري على تجانس الحروف، واعتماد السجع في الغالب، فهو عمل إبداعى لا يقلّ أهميّة عن باقي الفنون الشعبيّة الأخرى.
- وفيما يتعلّق بالتوصيات، فإنّنا ندعو إلى:

- ضرورة الحفاظ على المثل الشعبي، باعتباره إرثاً أدبيّاً ينقل شفاهة عبر الحفظة والرواة.
- إجراء دراسات مكثفة حول الأمثال الشعبيّة الجزائريّة، وعلى جميع النواحي، سواء اللغويّة أو الفنيّة أو الموضوعيّة.
- توظيف الأمثال الشعبيّة بكثرة في لغتنا اليوميّة، ولاسيما أمام الأطفال حتّى تترسّخ في أذهانهم، فتتعوّد ألسنتهم على نطقها بالشكل الصحيح، ويوظّفونها في سياقها المناسب.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- أبو الحسين أحمد بن فارس (ت395هـ)، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1979.
- 2- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت255هـ)، كتاب الحيوان، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، مصر، 1965.
- 3- أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه (ت328هـ)، العقد الفريد، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1983.
- 4- أحمد أمين، فجر الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012.
- 5- جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم ابن منظور (ت711هـ)، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1999.
- 6- جلال الحنفي، الأمثال البغدادية، مطبعة أسعد، بغداد، 1962.
- 7- جلال الدين السيوطي (ت911هـ)، المزهّر في علوم اللغة وأنواعها، منشورات المكتبة المصريّة، بيروت، 1986.
- 8- الراغب الأصبهاني (ت425هـ)، المفردات في غريب القرآن، مكتبة نزار مصطفى الباز.
- 9- زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012.
- 10- سعيد خضر، التكرار الإيقاعي في اللغة العربيّة، دار الهدى للكتاب، كفر الشيخ، 1998.

- 11- صلاح فضل، نظرية البناء في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة، 1998.
- 12- عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2001.
- 13- عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية: دراسة تاريخية تحليلية، دار الفكر، دمشق، 1988.
- 14- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، 2004.
- 15- مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، 1983.
- 16- منير عبود، موسوعة الأمثال والحكم والأقوال العالمية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 2010.
- 17- نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار نهضة مصر، القاهرة.

الهوامش

- ¹ - جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم ابن منظور (ت711هـ)، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1999، ص 510.
- ² - ابن منظور، لسان العرب، المصدر نفسه، ص 512.
- ³ - ابن منظور، لسان العرب، المصدر نفسه، ص 512.
- ⁴ - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، 2004، ص 72.
- ⁵ - صلاح فضل، نظرية البناء في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة، 1998، ص 120.
- ⁶ - صلاح فضل، نظرية البناء في النقد الأدبي، المرجع نفسه، ص 121.
- ⁷ - ابن منظور، لسان العرب، المصدر نفسه، ص 611.
- ⁸ - الراغب الأصبهاني (ت425هـ)، المفردات في غريب القرآن، مكتبة نزار مصطفى الباز، ص 597.
- ⁹ - أبو الحسين أحمد بن فارس (ت395هـ)، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1979، ص 296.
- ¹⁰ - ابن منظور، لسان العرب، المصدر نفسه، ص 610.
- ¹¹ - أحمد أمين، فجر الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012، ص 68.
- ¹² - عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية: دراسة تاريخية تحليلية، دار الفكر، دمشق، 1988، ص 11.
- ¹³ - جلال الدين السيوطي (ت911هـ)، المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، منشورات المكتبة المصرية، بيروت، 1986، ص 486.
- ¹⁴ - أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه (ت328هـ)، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983، ص 3.
- ¹⁵ - جلال الحنفي، الأمثال البغدادية، مطبعة أسعد، بغداد، 1962، ص 3.
- ¹⁶ - أحمد أمين، فجر الإسلام، المرجع السابق، ص 68.
- ¹⁷ - نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار نهضة مصر، القاهرة، ص 144.
- ¹⁸ - زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ص 23.
- ¹⁹ - نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، المرجع نفسه، ص 145.
- ²⁰ - نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، المرجع نفسه، ص 146.
- ²¹ - سعيد خضر، التكرار الإيقاعي في اللغة العربية، دار الهدى للكتاب، كفر الشيخ، 1998، ص 7.
- ²² - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت255هـ)، كتاب الحيوان، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1965، ص 86.
- ²³ - منير عبود، موسوعة الأمثال والحكم والأقوال العالمية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 2010، ص 585.
- ²⁴ - منير عبود، موسوعة الأمثال والحكم والأقوال العالمية، المرجع نفسه، ص 585.
- ²⁵ - مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، 1983، ص 236.
- ²⁶ - عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2001، ص 13.
- ²⁷ - عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، المرجع نفسه، ص 14.
- ²⁸ - عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، المرجع نفسه، ص 15.